



### الالتزام بالجماعة:

ومن السُّبُلُ النَّافِعَةُ فِي اجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ وَإِنْتَلِفُهَا: الالتزام بالجماعة، وذلك بالاجتماع على الحق الثابت في الكتاب والسنة وعلى فهم سلف الأمة، والاتفاق حول الحاكم الشرعي المسلم الذي يجتمع حوله المسلمين.

ولقد جاءت النصوصُ الآمرة بذلك، قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: 103]، وقال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تَضَرَّ اللَّهُ عَبْدًا، سَمِعَ مَفَالِيَّتِي هَذِهِ فَحَمَلَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ الْفِقْهِ فِيهِ غَيْرُ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ الْفِقْهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلَاثٌ لَا يَغْلُّ عَيْنَهُنَّ صَدْرُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، وَمُنَاصَحَةُ أُولَئِكَ الْأَمْرِ، وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ" ، رواه أحمد وابن ماجة وهو حسن.

وقوله: "ثَلَاثٌ لَا يَغْلُّ" بتشديد اللام، قال ابن الأثير في "النهاية": من الغل: وهو الحقد والشحنة، أي: لا يدخله حقد يُزيله عن الحق، وروي: "يَغْلُ" بالتخفيف، من الوُغْوُل: الدخول في الشر، ويُروى بضم الياء من الإغلال: وهو الخيانة، والمعنى: أن هذه الخلل الثلاث تستصلح بها القلوب، فمن تمسك بها، طهر قلبه من الخيانة والدخل والشر.

ومعنى قوله: "فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ": أن دعوة المسلمين محطة بهم، فتحرسهم عن كيد الشياطين، وعن الضلال، وفيه تنبيه على أنَّ من خرج من جماعتهم لم يَلِ ببركتهم، وبركة دعائهم؛ لأنَّه خارجٌ عما أحاطت بهم من ورائهم.

وروى الترمذى وصححه عن عبد الله بن عمر عن أبيه - رضي الله عنهما - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال : "عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الظَّنَنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بِحُبُوحَةِ الْجَنَّةِ فَلِيَلْزِمِ الْجَمَاعَةَ".

وبحبوحة الجنة : وسطها ، وبحبوحة كل شيء ووسطه وخياره.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ لَا يُؤْدِنُ وَلَا تُقَامُ فِيهِمْ

الصلأة إلا استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعه، فإن الذب يأكل القاصيه، أخرجه أحمد، وأبو داود وصححه ابن خزيمة وأبن حبان والحاكم.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الجماعة رحمة، والفرقة عذاب، كما في الحديث الصحيح عند أحمد : " من لم يشكِر القليل، لم يشكِر الكثير، ومن لم يشكِر الناس، لم يشكِر الله، التحدث بنعم الله شكر، وتركها كفر، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب ".

وفي صحيح مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " من خرج من الطاعه، وفارق الجماعه، فمات، فميته جاهلهه، ومن قاتل تحت رايه عميته، يغضب لعصبيه، ويقاتل لعصبيه وينصر عصبيه فقتل، فقتلته جاهلهه، ومن خرج على أمتي، يضر بربها وفاجرها، لا ينحاش لمؤمنها، ولا يفي لذى عهدها، فليس منى، ولست ممنه ".

وعند أحمد وأبي داود عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من خالف الجماعه شيئاً، خلع ريقه الإسلام من عنقه ".

الريقة في الأصل: عروة في حبل يجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها فاستعارها للإسلام يعني ما يشد المسلم به نفسه من عرى الإسلام أي حدوده وأحكامه وأوامره ونواهيه.

وعن عوف بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقه، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافتراق النصارى على ثنتين وسبعين فرقه، فاحدى وسبعين في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لافترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقه، واحدة في الجنة، واثنان وسبعين في النار "، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: " الجماعه " رواه ابن ماجة وصححه الألباني.

وعن أبي إدريس الخوارزمي، قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنما كنا في جاهليه وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر؟ قال: "نعم" ، فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ ، قال: "نعم، وفيه دخن" . قلت: وما دخنه؟ قال: "قوم يستثنون بغير سنتي، وبهدون بغير هدي، تعرف منهم وتتنكر". فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: "نعم، دعاء على أبواب جهنم، من أجاهم إليها قدفوه فيها". فقلت: يا رسول الله، صفهم لنا. قال: "نعم، قوم من جلدنا، وتكلمون بالسيئنا". قلت: يا رسول الله، فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: "تلزم جماعة المسلمين وإمامهم". فقلت: فإن لم تكون لهم جماعة ولا إمام؟ قال: "فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعصى على أصل شجرة، حتى يدركك الموت، وأنت على ذلك" ، أخرجه البخاري ومسلم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه من خالف الجماعه شيئاً فمات، فميته جاهلهه "، رواه البخاري ومسلم.

فكـلـ هذه النصوص ترغـبـ بالجماعـةـ وترـهـبـ من مفارقتـهاـ، وقد تـحدـثـ الشـاطـيـ رـحـمـهـ اللـهــ في كتابـهـ التـاصـيـ المـانـعـ الـاعـتصـامـ عنـ معـنـىـ الجـمـاعـةـ عـنـ الـعـلـمـاءـ فـأـوـصـلـهـاـ إـلـىـ خـمـسـةـ أـقـوالـ، وـهـيـ بالـاختـصارــ كـمـاـ يـلـيـ:

1- أنها السواد الأعظم.

2- أنها جماعة العلماء المجتهدين.

3- أن الجماعة هم الصحابة على الخصوص.

4- أن الجماعة هي جماعة أهل الإسلام إذا اجتمعوا على أمر.

5- أن الجماعة جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير.

ولو أنك تأملت هذه الخمس لوجتها ترجع إلى معنيين اثنين: معنوي وحسبي.

فالأول المعنوي: هو الاجتماع على الحق الثابت في الكتاب والسنّة وعلى فهم سلف الأمة من الصحابة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، قال أبو شامة في "الباعث على إنكار البدع والحوادث" (ص: 22): "وَحَيْثُ جَاءَ الْأَمْرُ بِلِزْرُومِ الْجَمَاعَةِ فَالْمُرَادُ بِهِ لِزْرُومُ الْحَقِّ وَاتِّبَاعُهُ إِنْ كَانَ الْمَتَمِسِّكُ بِالْحَقِّ قَلِيلًا وَالْمُخَالِفُ كَثِيرًا، لِأَنَّ الْحَقَّ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ الْأُولَى مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ رضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَلَا نَظَرٌ إِلَى كُثْرَةِ أَهْلِ الْبَاطِلِ بَعْدِهِمْ".

وهذا ما عبر عنه ابن مسعود رضي الله عنه عندما قال: "الجماعة مواقف الحق وإن كنت وحدك".

ومن هنا لو كان هناك عالم واحد من أهل الحديث والأثر على وجه الأرض ، لكن الواجب على أهل الأرض أن يتبعوه ، لأنَّه هو الجماعة الحق التي أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بالتزامها . قال إسحاق بن راهويه - رحمه الله - : "إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لِي جَمْعٌ لِمَّا مَحَمَّدَ عَلَى ضَلَالٍ فَإِذَا رَأَيْتَ الْخِتَالَ فَعُلِّمْكُمْ بِالْسَّوَادِ الْأَعْظَمِ" ، فقال رجل: يا أبا يعقوب من السواد الأعظم؟ فقال : "مُحَمَّدُ بْنُ أَسْلَمَ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبَعَهُ" ، ثم قال: سأَلَ رَجُلٌ ابْنَ الْمَبَارِكَ ، فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مِنَ السَّوَادِ الْأَعْظَمِ؟ قَالَ : يَا حُمَزةَ السَّكْرِيَّ ، ثُمَّ قَالَ إِسْحَاقٌ : فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ يَعْنِي أَبَا حُمَزةَ ، وَفِي زَمَانِنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَسْلَمَ وَمَنْ تَبَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ إِسْحَاقٌ : لَوْ سَأَلْتَ الْجَهَالَ مِنَ السَّوَادِ الْأَعْظَمِ؟ قَالُوا : جَمَاعَةُ النَّاسِ ، وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ الْجَمَاعَةَ عَالَمٌ مَتَمِسِّكٌ بِأَثْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَرِيقَهُ ، فَمَنْ كَانَ مَعَهُ وَتَبَعَهُ فَهُوَ الْجَمَاعَةُ ، وَمَنْ خَالَفَهُ فِيهِ تَرَكَ الْجَمَاعَةَ ، ثُمَّ قَالَ إِسْحَاقٌ : لَمْ أَسْمَعْ عَالَمًا مِنْ خَمْسِينَ سَنَةً أَعْلَمَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْلَمَ". أَخْرَجَهُ أَبُو نَعْيَمُ فِي "الْحَلِيلَةِ" 9/238.

قال الشاطبي في "الاعتراض" 2/778 معلقاً: "فانظر في حكايته تبين غلط من ظن أن الجماعة هي جماعة الناس وإن لم يكن فيهم عالم ، وهو وهم العوام لا فهم العلماء فليثبت الموقف في هذه المزلة قدمه لثلا يضل عن سوء السبيل ولا توفيق إلا بالله".

وعلقَ ابنُ القيم رحمه الله على كلام اسحاق بن راهويه في "إغاثة اللهفان" 1/70 قائلاً : "وَصَدِقَ وَاللَّهُ إِنَّ الْعَصْرَ إِذَا كَانَ فِيهِ عَارِفٌ بِالسَّنَّةِ دَاعٌ إِلَيْهَا ، فَهُوَ الْحَجَّةُ وَهُوَ الْإِجْمَاعُ ، وَهُوَ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ ، وَهُوَ سَبِيلُ الْمُؤْمِنِينَ الَّتِي مِنْ فَارِقَهَا وَاتَّبَعَ سُوَاهَا ، وَلَاَهُ اللَّهُ مَا تَوَلَِّي ، وَأَصْلَاهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرَاً".

وقال في "إعلام الموقعين" 3/397 : "إِنَّ الْإِجْمَاعَ وَالْحَجَّةَ وَالْسَّوَادُ الْأَعْظَمُ هُوَ الْعَالَمُ صَاحِبُ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ وَحْدَهُ ، وَإِنْ خَالَفَهُ أَهْلُ الْأَرْضِ ... وَقَدْ شَدَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ زَمْنَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ إِلَّا نَفْرًا يَسِيرًا ، فَكَانُوا هُمُ الْجَمَاعَةُ ، وَكَانَتِ الْقَضَايَا حِينَئِذٍ وَالْمُفْقُوتُونَ وَالْخَلِيفَةُ وَأَتَبَاعُهُ هُمُ الشَّاذُونَ ، وَكَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَحْدَهُ هُوَ الْجَمَاعَةُ".

والمعنى الثاني للجماعة: هو الاجتماع مع المسلمين على الإمام الحق بحيث لا يخرج عليه مادام على الإسلام وهذا المعنى هو الذي دلَّ عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث حذيفة: "تَلَزُّ جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامُهُمْ".

وهذه الجماعة العامة فيها السنّيُّ والبدعيُّ والطائُّ والعاصي، فيجبُ على كلِّ مسلمِ الالتزام بالحق فيترك البدعة للسنة، والمعصية للطاعة، فإذا اجتمع المسلمون على السنة والطاعة اجتمع معهم، وإن اجتمعوا على البدعة أو المعصية لم يطعهم ونصحهم، ولا يُحْدِثُ فُرْقَةً ولا فتنةً، محققاً لقول الله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ} [المائدة: 2]، ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: "عَلَى الْمَرءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمِنَ بِمَعْصِيَةِ، فَإِنَّ أَمْرَ بِمَعْصِيَةِ، فَلَا سَمْعٌ، وَلَا طَاعَةَ".

هذا والله أعلم وأحكِم، وله الحمد في الأولى والآخرة، والصلوة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

المصادر: